المرجعية الفكرية للنّظرية التّداولية

The intellectual reference for deliberative theory

وهيبة بوظراف*

جامعة عبد الحميد ابن باديس بمستغانم (الجزائر)، wahibaboudraf@gmail.com

أد/أحمد بن عجمية

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، Benadjemia1@hotmail.fr

تاريخ الوصول 2020/10/06 تاريخ القبول 2021/01/12 تاريخ النشر2022/03/31

ملخص:

تعتبر اللغة الظاهرة الإنسانية المهمة التي شغلت الباحثين في مجال اللّسانيات ، فكان الاهتمام الأول مُنصّب على الجانب الشكلي للغة ، فقد أدرك الباحثون في هذا المجال ضرورة إيجاد مناهج علمية دقيقة لدراسة ظاهرة اللّغة ، و هذا لغايات علمية و تعليمية ، و لم تتوقف الدّراسات على هذا الجانب فحسب بل تجاوزته إلى الملابسات الخارجية التي تصاحب عملية إنشاء اللغة ، ركّزت عدّة دراسات على المقاصد و أحوال المخاطَب و كل الظروف المحيط بالعملية التواصلية ، فالنص كيان مفتوح و ليس منغلقا على نفسه ، و قد ركّز اللّسانيون المعاصرون على دراسة اللغة أثناء الاستعمال ، و كيف نغير الواقع بالقول و هذا من أهم ما طرحته التدّاولية في حقل اللّسانيات ما يسمى بنظرية أفعال الكلام ، و الهدف من هذا البحث تتبّع المسار الفكري لهذه النّظرية لضبط مفاهيمها و حسن توظيف إجراءاتها، فما هي الجذور المعرفية لهذه النّظرية ؟ و ما **هي أهم النّظريات التي تولّدت من البراجماتية ؟**

الكلمات المفتاحية ::البعد التداولي ، التداولية ، الفلسفة التحليلية ،أفعال الكلام ، روّاد النظرية التداولية.

ABSTRACT **:**

Language is the most important human phenomenon that has concerned researchers in the field of linguistics, but in the beginning they were focused only on its formal aspect. Researchers have realized the necessity to find precise scientific methods to study the phenomenon of language with scientific and educational objectives. The studies are not satisfied with this, moved towards the external aspect that accompanies the process of language creation. Several studies have focused on the goals and circumstances of the addressee and the context surrounding the communication process because the text is an open entity and not closed on itself. Therefore, contemporary linguists have focused on the study of language during its use andhow to change reality through language is one of the most important things presented by pragmatics in the field of linguistics by speech act theory. This research aims to understand the intellectual path of this theory in order to master its concepts and the use of its processes. So what are the epistemological roots of this theory? What are the most important theories of pragmatism?

Keywords: pragmatic dimension, pragmatic, analytical philosophy, speech acts, pioneers of pragmatic theory.

* المؤلف المرسل

مقدمة

يتّفق اللّسانيون على أنّ الوظيفة الأساسية للّغة هي التّواصل بين أفراد المجتمع ، شريطة أن يتشارك هؤلاء في لغة التّواصل لتتم عملية الفهم أو التبليغ ، و حتى الاقناع فالتّأثير ، لهذا كانت اللغة و لا تزال الظاهرة الإنسانية المهمة التي شغلت الباحثين في مجال البحث اللساني ، فكان الاهتمام الأول مُنصب على الدّراسات التاريخية للغة ، و الدّراسات المقارنة ، و قد أدرك الباحثون في هذا المجال ضرورة إيجاد مناهج علمية دقيقة لدراسة ظاهرة اللّغة ، و هذا لغايات علمية و تعليمية ، و نتاج هذا الإدراك تأسيس مدارس لسانية ؛ كالبنيوية ، والتحويلية التوليدية ، و السياقية و التداولية ، و مناهج البحث العلمي ؛ كالمنهج التاريخي ، و المنهج الوصفي ، والمنهج التحليلي ، و المنهج التداولي ، وأجمع علماء اللّسانيات أن دراسة اللغة اتّخذت شكلها العلمي الدقيق المنهج على يد عالم اللّسانيات الفرنسي فاردناد دو سوسير (Ferdinand. de Saussure-1857-1913) و الموضوع الأكثر جدلا في الدّراسات اللّغوية الحديثة هو ذلك الجانب غير اللّغوي لهذه الظّاهرة ، والّذي لا يخضع لمعايير بعينها في كثير من الأحيان ،لأنه يتجاوز البنية الشّكلية للغة ، وقد أدّى التّداخل و التّكامل بين الحقول المعرفية (علم النّفس ،و علم الاجتماع و الفلسفة ، و المنطق ، و السيميائيات ...إلخ)إلى انقسام الدّرس اللّساني خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين إلى اتجاهين ؛ الاتجاه الشّكلي / الصّوري و يهتم بالجانب الصوري و العقلي للغة ، و الاتجاه الوظيفي التّواصلي و الذي يضع في الحسبان الجانب الاجتماعي فيراعي المقام و الظروف و الملابسات التي تنتج فيها اللغة ، أما عن الاتجاه الأول فمثّلته المدرسة البنيوية والمدرسة التحويلية التوليدية ،و الاتجاه الثاني فمثلته المدرسة السّياقية و الوظيفية و المنهج التّداولي ، و هذا الأخير اعتنى بالجانب الوظيفي للغة و دراسة اللغة أثناء الاستعمال وراح يدرس الجانب الظاهر والجانب المضمر للتراكيب اللغوية مستنزفا كل طاقاته الفلسفية ، بحكم أن هذا المنهج –التداولي–ترعرع في رحم الفلسفة التحليلية و خاصة فلسفة اللغة العادية ، وعليه أي باحث في هذا المجال يروم الأخذ بإجراءات المنهج التداولي لزاما عليه العودة إلى أصل المفاهيم للتحكم في المصطلحات و لتسهيل توظيف إجراءات هذا المنهج ، من أجل هذا جاءت فكرة هذا البحث ؛ و هي تتبع المرجعية الفكرية للتداولية ، وعليه اقتضت الدّراسة المنهج التاريخي و المنهج الوصفي ، و قد ينظر القارئ لهذا المقال على أنه جرد للمعلومات و جمعها ، ولكن هذه المعارف من شأنها أن تهيّئ لنا الأرضية الصلبة لاستعاب و فهم هذه النظرية و الهدف الأسمى من ذلك حسن تطبيق إجراءاتها . فما هي المرجعية الفكرية لهذه النظرية ؟ و ما مدى تأثير الفلسفة التحليلية على مفاهيم النظرية التداولية ؟و ما سبب تعّدد مفاهيمها و إجراءاتها؟

1. النظرية التداولية (تاريخ و النشأة) :

هل دائما يفهم المخاطَب غايات و مقاصد المتكلّم ؟ نطرح دائما هذا السؤال لأنّ كل المهتمّين بمجال اللّسانيات يدركون أن عملية فهم المعنى يتجاوز معرفة الدّلالة المعجمية للكلمة ، و إنشاء العبارة في الواقع لشروط و معايير و هي الظروف و الملابسات المحيطة بالعملية التّواصلية ، و أولى البلاغيون العرب اهتماما بالغا بالمقام و أحوال المخاطَب

و الزّمان و المكان ، فالكلمة تبقى مبهمة إلى حين إلقائها في سياقها المناسب ، تؤول في وسطه ، و يتغيّر معناها بتغير السّياق الواردة فيه ، إنّه لخير دليل على أن اللغة تفهم و تؤول لحظة استعمالها وهذا ما تبحث فيه التّداولية ، هذه النّظرية التي نشأت في رحم الفلسفة التّحليلية إذ كان الفلاسفة يفكّرون في الصّلات القائمة بين اللغة و المنطق من جهة ، و آثار الخطاب في السّامع من جهة أخرى ، و عكفوا على النّظر في التّأثيرات الفعلية للخطاب ، حيث وضع أوستين (J.B.Autin-1911-1961)[1] أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد و تلميذه سورل (J.R.Searle1932) نواة التّداولية في حقل فلسفة اللغة العادية و طوّروا من وجهة نظر المنطق التّحليلي مفهوم" العمل اللّغوي " (acte de langage) ، فاهتمام الفلسفة باللغة قديم العهد ،منذ أفلاطون و أرسطو ، وصولا إلى سيناك (Sénéque) ، و شيشرون(Cicéron) ، و كونتليان (Quintilien) الّذين طوّروا بدورهم منوالا كلاسيكيا للبلاغة ، يقوم على معرفة الانفعالات و الطّبائع[2] ، لهذا يرى الكثير من الباحثين في مجال التّداولية ، أن هذه الأخيرة هي البلاغة الجديدة في العصر الحديث ، حتى أن بعضهم ترجم مفهوم التّداولية بالبلاغة الجديدة .

و إذا ما أردنا تتبّع المرجعيّة الفكرية للتّداولية علينا العودة إلى دراسات شارلز موريس (Charles-Morris-1901-1938) رائد السيميوطيقا و مؤسس الواقعية الفلسفية (البراغماتية الفلسفية) وتسمى الذّرائعية و مؤسس المنطق الرّياضي أو الرّمزي ، صاحب التّقسيمات الثّلاثية للعلامة اللّسانية (Pierce-1839-1914) الّذي طوّر دراسات بيرس ؛

المؤول: الوسيلة و ما يسميه دي سوسير الدّال.

الموضوع: وهو الشّيئ الخارجي أو المرجع ، أو الدّليل كما اصطلح عليه الجيلالي دلاش في كتابه "مدخل إلى اللّسانيات التّداولية "

ونجده يقسم المرجع إلى ثلاثة أنواع :

الرّمز (symbole) :ويمتاز بعلاقته الاعتباطية التي تربطه بموضوعه ، فمثلا لكل لغة أصوات خاصة بها .

الأيقونة (icône): النّمط التّصويري ؛حيث يكون المرجع و العلامة متشابهان مثال على ذلك الصوت المحاكي للطبيعة [3]

المؤشّر (indice) أو الأمارة كما اصطلح عليها الجيلالي دلاّش : فإنها تندرج في علاقة العلّة بالمعلول.

،حيث يكون هناك رابط بين المرجع و العلامة كعلاقة السّببية مثل ارتباط الدّخان بالنّار.[4]

فالسيميوطيقا بالنسبة له بحث رمزي موسّع ، فهي تدرس الدّلائل اللّسانية و غير اللّسانية ، و قد أكّد بيرس أنّه لم يكن بوسعه دراسة أي شيء أو أي علم إلاّ بوصفه دراسة سيميوطيقية ، فهذه الأخيرة ذات وظيفة فلسفية و منطقية و من سيمات الفلسفة الاستمرارية ، والواقعية ،و التّداولية ، فسيميوطيقا بيرس اجتماعية و جدلية فهي سيميوطيقا

الدّلالة و التواصل ، و تعتمد على أبعاد منهجية ثلاثة هي :البعد التّركيبي ، و البعد الدّلالي ،و البعد التّداولي ، ومن خلال هذا يمكن القول أن سيميوطيقا بيرس صالحة لتطبيقها في المقاربة النّصية و الخطابية ، و توظيف أبعادها التحليلية الثلاثة (البعد التّركيبي ،و البعد الدلالي و، و البعد التداولي) و حتى المفاهيم الدّلائلية الأخرى (الأيقونة ،و الرّمز ، والإشارة)[5]

فبيرس يعطي أهمية بالغة للاستعمال الفردي للدليل ، فالعالم بالنّسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التّفاعل ما بين الذّوات ، وتوجد صيغة لسانية تلخص فكره :"لكي نبلور فكرة ما ،يجب علينا بكلّ بساطة تحديد العادات الّتي تولّد هذه الأدلّة ،ذلك أنّ دلالة شيء ما إنّما تتمثل ببساطة في العادات الّتي تتولّد عنها .إنّ السّمة المميّزة للعادة إنما تكمن في الكيفية التي تحملنا على العمل ، لا في الظّروف المحتملة فحسب ،بل كذلك في الظروف الممكنة الحصول ، بل حتى في تلك التي يتعذّر تصوّرها ".

وقد طوّر بعده شارل موريس(ch-Morris-1938- 1901 ؛ الأبعاد الثلاث فالبعد الدلالي يدرس كلام الباث و يحلله ، و البعد التركيبي يدرس العلاقات بين التّعابير ، و البعد التّداولي يدرس الذّات المتكلّمة .[6]

فقد أعاد شارل موريسch-Morris تطويرها بكيفية نظامية كبرى ،فسيميائيات موريس هي امتداد سيميوطيقا بيرس ، و يعتبر موريس رائد التّداولية وله الفضل في تبسيط الكثير من مفاهيم بيرس و تطوير مفهوم السيميوزيس (sémiosis) ويقصد به السيرورة التي تحتوي في نظره على أربعة عناصر هي :

1- النّاقل (حامل العلامة)؛ يقوم مقام الدّليل .
2- المدلول عليه ؛ ما يحيل الدّليل إليه.
3- الأثر ؛ما يترك في نفس المرسل إليه .[7]
4- المؤول ؛ وهو الدّال.

- فالسيميوزيس : هو العلامة حين اشتغالها ، ولها ثلاثة أبعاد ؛البعد التركيبي (الأدلة) ،والبعد الدّلالي (المدلول) ، والبعد التداولي (المؤولون /المستخدمون) .

نلاحظ أنه لا يبتعد كثيرا عن تصور بيرس ، الا أن الاختلاف يكمن في اهتمام موريس بالجانب السلوكي فهو ينظر إلى بنية اللغة على أنها نظام من السّلوك ؛ فوظيفة الدّلالة تهيئ المرسل إليه إلى ردّ فعل ما .

من خلال ما تم عرضه ، يمكن القول أن بذور مصطلح التّداولية ظهرت عند كل من بيرس و بعده موريس ، فكلاهما ممثل للفلسفة الذّرائعية الأمريكية (pragmatisme). ومن بين فلاسفة اللغة الذين آمنوا بأن الكلمة لا قيمة لها و لا تأويل لها بمعزل عن السياق الواردة فيه نذكر **فيتجنشتاين 1889-1951**(**wittgenstein**) ، قبيل الحرب العالمية الثانية عزم روّاد التجريبية المنطقية كل من فريج (freg) ،و كارناب (carnap) ،و فيتجنشتاين

(wittgenstein) على إعادة بناء لغة صورية قادرة على وصف العالم و تأويله ، و يعتبر هؤلاء أنصار الفلسفة التحليلية .

فقد صرّح هؤلاء أن القول خارج السّياق لا اعتبار له لأن السياق يوفّر دلالة أخرى ، وعلى رأسهم. **فيتجنشتاين** ، الذي اهتم بفلسفة اللغة الطبيعية[8] .

ومن المعروف أن مفهوم الفلسفة عنده هو توضيح الأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه الأفكار ، فهو يؤكد في الرسالة الفلسفية المنطقية : "إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار. فالفلسفة ليست نظرية من النظريات ، بل هي فاعلية. ولذا يتكون العمل الفلسفي أساسا من توضيحات " ؛ معنى ذلك أن التحليل عنده لا يضيف إلى معرفتنا جديدٍ ، بل هو مجرد طريقة توضح ما نقوله لكي نتبين ما له معنى من كلامنا وما لا معنى له، وأن نتكلم بالتالي كلاما له معنى وهو صاحب القول "إنّ منطق لغتنا يساء فهمه" فهو يهدف من وراء تحليل اللغة إلى معرفة الحدود التي يجب أن تستخدم فيها بطريقة ذات معنى ، و إلا كانت لغتنا مجرد لغو لا معنى له [9].

وتعتمد فلسفته في تحليل اللغة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي :الدّلالة ، القاعدة ، ألعاب اللغة ؛

* إنه يفرّق بين الجملة و القول ؛ فالجملة لها معنى مقدّر و القول –الكلام–له معنى محصل ،

*إن وجه القاعدة الاجتماعي يستند إلى التواضع و الاصطلاح ؛ أي الامتثال إلى القاعدة النّحوية.[10]

*إن هذه القواعد صالحة لعدد من الأحوال و المتكلّمين ، إذ تسمح بتنويع النشاط اللّغوي،

*إن اللعبة اللغوية تتطور بتطور النشاطات الاجتماعية ، ولا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملة ما بل عدة طرق ، فاللعبة اللغوية تعني في نظر الفيلسوف الممارسة اللغوية و شكلا من أشكال الحياة ، ومن هذا يعدّ فيتيجنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة .[11] و من الفلاسفة الذين أثروا الدّرس التّداولي الحديث ، **أوستين** (J.B.Autin+ 1911-1961) وتلميذه **سورل** (J.R.Searle +1932) حيث وضعا نواة التداولية ؛ إذ طورا من وجهة نظر المنطق التحليليّ مفهوم "**العمل اللّغوي**" ، وقد عكف الفلاسفة على النّظر في التأثيرات الفعلية للخطاب منذ الستينيات من القرن العشرين ، حيث كان أوستين أول من بعث نظرية الأعمال اللّغوية ، وكانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القديم كما سبق و أن ذكرت أن بذور التداولية ظهرت مع الفلسفة التحليلية ، و خاصة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية مع الفيلسوف فريجة .[12] و أما عن تصور كل من أوستين و تلميذه سورل فيعتبر من أهم محاور النظرية التداولية خاصة ما يعرف بنظرية أفعال الكلام .

و بعد هذه الوقفة الموجزة على نشأة النظرية التّداولية علينا الآن أن نعرج إلى أشهر التعاريف لهذه النّظرية .

مفهوم التّداولية :

إنّ مصطلح التّداولية ترجمة للمصطلحين : الإنجليزي **pragmatics** ، و المصطلح الفرنسي **la pragmatique** ، و كلاهما يعني المذهب اللغوي التواصلي الجديد ، و ليس ترجمة لمصطلح **le pragmatisme** ويعني : " الفلسفة النّفعية الذّرائعية " [13]

و بما أن روّاد التداولية في الأصل هم روّاد الفلسفة التّحليلية فإن الدّراسات تشير إلى أن التّداولية هي وليدة الفلسفة الذّرائعية ، و هناك أبعاد تجمع بينهما في الغاية و المقاصد الفعلية ، فلا يمكن أن تنفصل التّداولية معرفيا و فكريا عن الذّرائعية ، كما لا يمكن معرفيا تناولهما في سياق مفاهيمي واحد ، فالفكرة في الفلسفة الذّرائعية مشروع للعمل و ليست حقيقة إلى حين استعمالها و قصدها و صدقها مرهون بمدى تحقيقها لأعمال في الواقع فهي ذريعة من الذّرائع لبلوغ غايات جديدة و فعّالة في الواقع [14]

و لعل هذه هي نقطة التقاء بين التداولية والذّرائعية؛لأن التّداولية تتجاوز تفسير اللّغة ذاتها إلى تفسيرها حال استعمالها في الواقع العمل،و بهذا تعد التّداولية حقلا لسانيا من منطلقات فلسفية لعنايتها بالظاهرة اللغوية .[15]

موريس :"التّداولية جزء من السّيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعمليها" يعتبر هذا التّعريف من أقدم التّعاريف للتّداولية .

ماري ديير : (Marie-Dillre) ،و فرانسوا ريكاناتي (Fraçois Récanati) : "التّداولية هي دراسة استعمال اللّغة في الخطاب ،شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية ".

فرانسيس جاك (Francis Jacques) :"تتطرّق التّداولية إلى اللّغة ، كظاهرة خطابية ، و تواصلية ، و اجتماعية معا "[16])

- إن ما يجمع هذه التّعاريف هو عامل الاستعمال اللّغوي مع مراعاة الجانب الاجتماعي لهذا الاستعمال ، فهي علم جديد للتواصل كما اصطلح عليها بعض الباحثين في هذا المجال ،يدرس الظّواهر اللّغوية في مجال الاستعمال ، انطلاقا من مستويات متداخلة كالبنية اللّغوية ، و قواعد التّخاطب ، و العمليّات الذهنية المتحكّمة في الإنتاج و الفهم اللغويين .[17]
- فالتّداولية كما أجمع الباحثون اللّسانيون تمثل حلقة وصل بين حقول معرفية عديدة ؛ منها :الفلسفة التّحليلية ،و علم النّفس المعرفي ، و علوم التّواصل ، و اللّسانيات ، فهي بهذه الحالة تبحث عن القوانين الكلّية للاستعمال اللّغوي ، فأصبحت جديرة بأن تسمى "**علم الاستعمال اللّغوي** ". [18]
- إنّها تهتم باللغة حين استعمالها و تفجر طاقتها الكامنة بين بنيتها ، و ترفض الانغلاق على النظام الداخلي لها ، تهتم بكل العناصر الفعالة في العملية التواصلية من كفاءات لغوية و سياق ، و متكلم و سامع .

- فالتّداولية تدرس الجانب الوظيفي و السّياقي في النّص و الخطاب ، مع التّركيز على البعد الحجاجي ، و الإقناعي ، و أفعال الكلام داخل النّص ، كما أنّها تهتم بالنّص و الإحالة التي تمّ إقصاؤها عند البنيويين فهي تركّز على المقصدية الوظيفية .
- و الجدير بالذكر أن المهتمين بمجال التداولية يقرّون بوجود تداوليات متعدّدة ؛

-تداولية البلاغيين الجدد.

-تداولية السيكو-سوسيو-لوجيين.

- تداولية اللّسانيين .

- تداولية المناطقة و الفلاسفة.[19]

و تكمن أهمية التّداولية في كونها تحيط بمختلف الأسئلة و الإشكالات الجوهرية في النّص الأدبي المعاصر ، لأنها تحاول الإجابة عن العديد من الأسئلة ، مثل :

- من يتكلّم ؟ وإلى من يتكلّم ؟
- ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم ؟
- ما هو مصدر التشويش و الإيضاح ؟
- كيف نتكلّم بشيء و نريد آخر ؟

فالإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي استحضار مقاصد أعضاء الحوار ، و سياقه ، و البعد التّداولي لهدف اللّغة المستعملة ، لذلك وجد مفهوم الفعل ، و مفهوم السّياق ، و مفهوم الإنجاز في التّداولية كمقاييس و مؤشّرات على اتجاهات النّص الأدبي في النّظرية النّقدية .[20]

كل هذه المفاهيم تجرنا جرا إلى أن تحليل اللغة و فهم مقاصد المتكلم يستدعي تحليل عناصر غير لغوية كالسياق و الظروف التي ينتج فيها الخطاب ، و ضف إلى ذلك قدرة العقل البشري على اكتساب معرف جديدة و اختراق قواعد اللغة في التعبير .

إنه صراع قائم منذ الأزل بين النظريات المهتمة بظاهرة اللغة ؛ دراسات شلت جهود اللغة في قوالب صرفة و أخرى اطلقت العنان للعقل البشري ، فإنّنا نجد العلوم المعرفية (علم النفس ، و اللسانيات ، و فلسفة العقل ، وو الذّكاء الاصطناعي ، و و علوم الأعصاب ...و غيرها) تقف بالمرصاد لروّاد التّيار السلوكي الذي أسّس دراساته اللغوية- خاصة في مجال تعلم اللغة –على عبارة مثير/استجابة ، والتي ترفض التّسليم بوجود أشياء غير قابلة للملاحظة ، كالحالات الذهنية التي هي البؤرة الأساسية في عملية التّحليل اللّغوي التي تعتمد عليها النّظرية التّداولية و العلوم المعرفية ، فقد أسهمت التّداولية في برنامج البحث الذي حدّدته العلوم المعرفية ؛ الذي مفاده توضيح اشتغال العقل/الدماغ و بيان كيف أنّ العقل البشري يكتسب معارف و يطوّرها و يستعملها اعتمادا على الحالة الذّهنية .[21]

إن إخضاع اللغة للتشريح و التحليل كان ضروريا لإرساء قواعدها ، و قد اهتمت اللسانيات البنيوية بالجانب الشكلي للغة و حدّدت مستويات اللغة ؛ المستوى الصوتي ، و المستوى التركيبي ، و المستوى الدّلالي ، و المستوى المعجمي ، و هذا لغايات تعليمية محضة و لاكتساب الملكة اللغوية و تّمكن المتعلم أو المتكلم من الاحاطة بالكفايات اللّغوية ، و كل هذه الجهود باتت قاصرة عن تحديد المعنى و القصد رغم أنها تعتبر الحجر الأساس الذي لا يمكن الاستغناء عنه في عملية التحليل اللغوي و الوصول إلى غايات ومقاصد المتكلم ، لأن التركيب في حد ذاته يخضع قبل عملية إنتاجه في الواقع إلى ظروف و ملابسات خارجة عن نطاق اللغة ذاتها ، و قد أدرك البلاغيون العرب أهمية هذه المسألة ما ظهر جليا في نظرية النظم التي أولت اهتماما بالغا للمقام و قبلها الجاحظ و غيرها من علماء التراث العربي ، و النظريات السياقية الغربية .

- ✓ فظهور التّوجهات المنطقية الجديدة أثبت قصور المنطق الصّوري في صيغته الحديثة و القديمة و هذا كونه أداة مفيدة في وصف و تفسير الظاهرة التّدليلية و في التفاعل الحجاجي ، فانقسم البحث اللغوي جرّاء ذلك إلى قسمين المنحى الشكلي الصوري بزعامة البنيوية ، و المنحى الوظيفي بزعامة التّداولية التي أحدث ثورة فاصلة في مجال البحث اللساني ، فقد حرّرت الدّارسين المعاصرين من القيود المنهجية للنظرية البنيوية ، و انفتحوا على الأنساق المعرفية العامّة ، كالفلسفة و المنطق، و علم الاجتماع ، و علم النّفس ، و حتى الرّياضيات ، هذا الانفتاح أدى بدوره إلى التّركيز على الكلام و عناصره ؛كغرض المتكلّم ، وحال المخاطب أو سياق الحال ، فعلى الرغم من من أهمية الدّراسة التي قدّمها تشوميسكي و هي البنية السطحية و البنية العميقة و الملكة اللّسانية و الانجاز ظهر غير كاف في نظر دييل هايمس DELL HYMES أذ تجاوزه إلى الحديث عن الملكة التّبليغية التّواصلية La compétence de communication و هي من مصطلحات لسانيات الخطاب، هذه الملكة لا تقتصر على البنى اللّسانية التي ينتج عنها التّعبير السّليم فحسب[22]، بل تتضمن أيضا القواعد الاجتماعية و معرفة سياقاتها و طرائق استعمالها حسب مقتضيات أحوالها ، و قد أيّد الكثير من الباحثين رأي هايمس من بينهم الباحثة الفرنسية صوفي موارون SOPHIE MOIRAND وقدّمت جملة مكوّنات الكفاءة التّبليغية معتمدة على دراسات هايمس ، و هي كالآتي :

- ✓ المكوّن اللّساني .
- ✓ المكوّن المرجعي .
- ✓ المكوّن الخطابي .
- ✓ المكوّن الاجتماعي الثقافي .

و من جهة أخرى يقسّم سيمون ديك الكفاءة التّبليغية إلى عدّة كفاءات أخرى، وهي:

- ✓ الكفاءة اللّغوية : إنشاء جمل ذات بنى صحيحة .
- ✓ الكفاءة المنطقية : الاعتماد على قواعد الاستدلال و الاستنباط.

- ✓ الكفاءة المعرفية:تخزين مختلف المعارف و تنظيمها ،واسترجاعها عند حاجة استعمالها.
- ✓ الكفاءة الادراكية : إدراك مستعمل اللغة لمحيطه ليتمكن من تأويل و إنتاج الخطابات.
- ✓ الملكة الاجتماعية:وهي معرفة الظروف و الملابسات التي تصاحب عملية إنتاج الخطاب .[23]

إنّ هذه الكفاءات تعتبر من أهم مباحث النّظرية التّداولية ، لأنها نظرية تجمع عدّة فروع علمية كما سبق و ذكرنا و تظهر جلياّ في هذه الكفاءات مثل ، علم اللغة ، و المنطق ، و علم النفس و غيرها من العلوم المعرفية ، فالدّرس التّداولي يستعين بهذه العلوم في دراسة الاستعمال اللغوي .

وإنّ تعددّ إجراءات و مفاهيم النّظرية التّداولية راجع لتعدّد المنابع المعرفية التي نهلت منها هذه النّظرية ، و لعلّ المنبع الرّئيسي لها هو الفلسفة التّحليلية و بالضبط فلسفة اللّغة العادية ، لهذا كان لزاما على أي باحث يعول على هذه النّظرية الرجوع إلى المنبع الأصلي،و هذا لضبط أي مفهوم و الاستفادة من إجراءاته.

وأماّ عن الفلسفة التّحليلية فقد نشأت بمفهومها العلمي في العقد الثّاني من القرن العشرين في فينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة GOTTLOB FREGE (1848-1925) بكتابه" أسس الحساب" ، و من أهم التّحليلات اللّغوية التي أجراها على العبارات اللّغوية ، التّمييز بين مقولتين لغويتين ، وهما اسم العلم و الإسم المحمول ، و هما عماد القضية الحملية ، ما يقابله في الدراسات اللغوية العربية ، المسند والمسند إليه للجملة الاسمية ، فوظيفة اسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معيّن ، بينما وظيفة المحمول هي دلالته على تصوّر ، أي مجموع الخصائص التي تسند إلى اسم العلم فاسم العلم له معنى مستقل دون حاجة إلى لفظ آخر ليتم معناه ، و المحمول يحتاج إلى اسم العلم ليعطيه معنى[24] .

لقد انتقد الفيلسوف الألماني لودفينغ فيتجنشتاين WITTGENSTEIN(1957-1989) مبادئ الوضعانية المنطقية و اسس اتجاها فلسفيا جديدا ، وهو فلسفة اللغة العادية التي انبثقت منها النّظرية التّداولية بكل إجراءاتها و بالخصوص ظاهرة الأفعال الكلامية ،يدعو فيه إلى دراسة اللغة العادية و ركّز على دراسة المعنى في الكلام العادي و تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم ...إنها دعوة مبكرة لدراسة اللغة أثناء الاستعمال اليومي ، فهو صاحب فكرة "لكي نفهم الوجود علينا أولا فهم اللغة" إنّه الأمر الذي اتفق عليه فلاسفة اللغة أمثال رودولف كارناب RUDOPH CARNAP وهو رائد الوضعانية المنطقية ، و هوسرل HUSSERL رائد الظاهرتية اللغوية .

إذا ما تأملنا هذه الاتجاهات الكبرى للفلسفة التّحليلية نجد أن النظرية الوضعانية المنطقية تعتمد الاجراءات المنطقية كالرياضيات في تحليل ظاهرة اللغة مستبعدة جانب مهم لها وهو القدرات التواصلية التي يصعب اخضاعها للتحليل الرياضي ، أما الظاهرتية اللغوية فتهتم بجانب للغة و هو الجانب الفكري بعيدا عن الاستعمال اليومي الواقعي ، إلا أنها قدّمت إجراء مهم للتدّولية ،وهو مبدأ القصدية intentionnalité الذي أخذ به كل من الفيلسوف أوستين و تلميذه سورل في ظاهرة الأفعال الكلامية .[25]

أما دراسات فتجنشتاين تؤكد على عنصر فهم اللغة فقد أرجع سبب المشكلات الفلسفية إلى عدم فهم لغتنا و منطقها .

فمفهوم الفلسفة عنده هو توضيح للأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه الأفكار دون إضافة أي جديد بل مجرد طريقة توضيح ما نقول ، فالفلسفة عنده سلاح ضد الفوضى التي تحدث في عقولنا لسوء استخدامنا للغة ، فيقول:"أنه يزول ذلك اللّبس و سوء الفهم المتعلق باستخدام الألفاظ إذا ما استبدلنا صورة تعبير بصورة تعبير أخرى ..." إنه قول يعكس نظريته ألعاب اللغة فلقد كان تحليل اللغة هو الهدف الأساسي في فلسفته فالتحليل الفلسفي بالنسبة إليه منهجا لا غاية وظهر هذا جليا في "مقدّمة الرسالة المنطقية الفلسفية " و كان جوهرها "أن منطق لغتنا يساء فهمه" .[26]

إنّه واضح و جلي أن سبب تقدم العالم الغربي في شتى العلوم و مجالات الحياة هو إعتنائهم باللغة لا مجرد أداة لحفظ العلوم و تعلمها فحسب بل وسيلة فعالة لفهم العالم منطلقين و مستعينين بذلك بالجانب الفلسفي للغة .

خاتمة

من خلال ما تم عرضه حول المرجعية الفكرية للنظرية التّداولية ، تبين أن روّدها فلاسفة اللغة ، فبيرس و موريس كانا لهما السبق في إدراج هذا المفهوم في مجال الدّراسات اللغوية ، أما فلاسفة اللغة أمثال فريجة ، و فتجنشتاين كانا لهما الفضل في الاصرار على التحليل

فلسفي للغة و الذي ينظّف حسب رأيهما عقولنا من الفوضى و ينظم عملية التفكير و التعبير ،أما كل من أوستين و تلميذه سورل فكانا لهما الفضل في التنظير و التنظيم لهذه النظرية .

- إنّ سبب تشعب مفاهيم و إجراءات هذه النظرية تقاطعها مع العلوم المعرفية التي نهلت منها ، ما جعل الكثير من اللسانيين نعتها بسلة المهملات إذ تلقى فيها كل الاشكالات التي يصعب حلها ، في حين هذا الرأي من طرف المهتمين بمجال التداولية بالرفض كون هذا التنّوع في نظرهم يخدم البحث اللّساني إذ يتيح الفرصة للباحث أن يبحر في إجراءات هذه النظرية بتنوع مفاهيمها ، مما يفتح لهم المجال لاختيار ما يناسب طبيعة بحثهم .

الفهرس:

1. ينظر :حافظ إسماعيلي علوي ، التّداوليات –علم استعمال اللغة- ،عالم الكتب الحديث ،ط 1، 2011 ،إربد ، ص1.
2. فليب بلانشيه ، التداولية ما أوستين إلى غوفمان ، تر صابر حباشة ،دار الحوار،سورية ،ط1، 2007 ،ص20.
3. ينظر : المرجع نفسه ،ص20.
4. ينظر : الجيلالي دلاّش ،تر محمد يحياتن، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،دت، دط، ص ص ،8-10-17
5. ينظر: المرجع نفسه ، ص09
6. ينظر : جميل حمداوي ، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات و المدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية) ، ط 1 ،2015 ،مكتبة المثقف ،سيدني ،ص ص 16--19
7. -ينظر : المرجع نفسه ، ص17
8. -ينظر : الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التّداولية ، ص8

9. المرجع السّابق ،(مدخل إلى اللّسانيات التّداولية ،الجيلالي دلّاش) تر محمد يحياتن ،ص ص08-10-17
10. ينظر: أحمد عبد الحليم عطيّة الفلسفة التحليلية –ماهيتها ، مصادرها ،و مفكروها ،المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ،ط1، بيروت لبنان، 2019، ص 16-
11. -ينظر : الجيلالي دلّاش ، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية ، تر محمد يحياتن، ص18
12. ينظر: المرجع نفسه ،ص 17
13. ينظر :التداولية من أوستين إلى غوفمان ،فيليب بلانشيه ،تر صابر حباشة ، دار الحوار للنشر و التّوزيع ، سوريا ،ط 1 ،2007 ،ص 20
14. ينظر : ينظر : التّداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية في ظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي- ،مسعود صحراوي ، دار الطّليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1، 2005 ،ص ص 15-16
15. ينظر :محمد سالم سعد الله ، النّقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني ، ، مجلة ديالي ، الموصل ، العدد الثامن و الخمسون ، 2013 ،ص ص 687-688 ، تم الاسترجاع من الموقع :alfarahedy.blogspot.com
16. ينظر :المرجع نفسه
17. ينظر :المقاربة التّداولية ، فرانسواز أرمينكو ،تر سعيد علوش ، مكتبة الأسد ، د ط ، 1986 ،ص 04
18. ينظر :التّداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية في ظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي- ،مسعود صحراوي ، دار الطّليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1، 2005 ،ص ص 15-16
19. ينظر : المرجع نفسه الصفحة نفسه
20. ينظر : فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التّداولية ، تر سعيد علوش ، ص 03
21. ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
22. -ينظر : التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، آن روبول ، جاك موشلار ، تر سيف الدين دعفوس ، محمد الشيباني ،دار الطّليعة للطباعة و النّشر ، لبنان ،ط1،2003،ص27-28
23. ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ إسماعلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط1 ، 2011 ، صص25...28
24. -ينظر المرجع نفسه ، ص 28
25. -ينظر: التّداوليات علم استعمال اللغة ،حافظ اسماعيل علوي ،ص33
26. -ينظر المرجع نفسه،ص 37
27. -ينظر :الفلسفة التّحليلية –ماهيتها ،مصادرها-و مفكّروها ،أحمد عبد الحليم عطية، العتبة العباسية المقدسة ،لبنان ،ط1 ،2019،صص 92...98

قائمة المصادر و المراجع

1. الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات و المدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية) جميل حمداوي ، ، ط 1 ،2015 ،مكتبة المثقف .
2. أحمد عبد الحليم عطيّة الفلسفة التحليلية –ماهيتها ، مصادرها ،و مفكروها ،المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ،ط1، بيروت لبنان، 2019.
3. التداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ إسماعلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط1 ، 2011
4. التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل ، آن روبول ، جاك موشلار ، تر سيف الدين دعفوس ، محمد الشيباني ،دار الطّليعة للطباعة و النّشر ، لبنان ،ط1،2003 .
5. التّداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية في ظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي- ،مسعود صحراوي ، دار الطّليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1، 2005
6. التداولية من أوستين إلى غوفمان ،فيليب بلانشيه ،تر صابر حباشة ، دار الحوار للنشر و التّوزيع ، سوريا ،ط 1 ،2007 .
7. الجيلالي دلاّش ،تر محمد يحياتن، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،دت، دط.

8. الفلسفة التّحليلية –ماهيتها ،مصادرها–و مفكّروها ،أحمد عبد الحليم عطية، العتبة العباسية المقدسة ،لبنان ،ط1 ،.2019
9. فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، فليب بلانشيه، تر صابر حباشة ،دار الحوار،سورية ،ط1.
10. المقاربة التّداولية ، فرانسواز أرمينكو ،تر سعيد علوش ، مكتبة الأسد ، د ط ، 1986 .

النّقد التداولي من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني ، محمد سالم سعد الله ، مجلة ديالي ، الموصل ، العدد الثامن و الخمسون ، 2013 ،ص ص 687-688 ، تم الاسترجاع من الموقع :alfarahedy.blogspot.com